بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـأَيُّهَا النَّبِيُّ إنّا أَرْسَلنَاك شَاهِداً ومُبَشّراً وَنذِيراً وَدَاعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾

« صدق الله العظيم »

[سورة الأحزاب : الآيتان ٤٥ و ٤٦]

فى حديث نبوى شريف أذكره بمعناه دون نصه يقول الرسول الأكرم لعمر ابن الخطاب : إنك لن تؤمن حتى أكون أحب إليك من نفسك ، وفهم عمر مراد الرسول واجتهد فى العبادة والعمل وخدمة الإسلام وأمته ونظر إليه الرسول مرة وقال الآن أمنت ياعمر !

وطوال السنوات التى أنفقتها فى خدمة سيرة المصطفى أحسست إحساساً متزايداً بحب له أعمق فأعمق يوماً بعد يوم ، لأن نواحى الجمال فى شخصيته ونفسه وفكره وكلامه لا تحصى ، وأبسط ماأقوله لك : إنه كان بالفعل من أجمل الرجال هيئة . فقد كان وضىء الوجه باهر الهيئة وما رآه إنسان إلا أحبه ، لقد وهبه الله عينين واسعتين فيهما دعج وعمق فى النظرة ، وشعراً كثيراً كان يمشطه ويرسله خلفه وأحياناً يرسل بعضه على منكبيه ، وقد وصفه لنا على بن أبى طالب وأنس بن مالك وأبو هريرة ، والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وغيرهم كثيرون وهؤلاء كانوا أكثر الناس احتكاكاً به ، وكلهم أجمعوا على اكتمال صورته ، وقالوا إنه كان وسطاً فى طول قامته عريض المنكبين أبيض اللون مشرباً بحمرة وافر الشعر جميل الصوت كثيف اللحية ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم

أصغت إليه الآذان والقلوب ، وكان خطيباً بليغاً ، وكان واسع الجبين ومن أجمل ماقرأت عن أوصافه أنه كان له نور يعلوه ترتاح العين لمرآه ، والذى استوقف نظرى هو أن الذين وصفوه وقفوا طويلاً عند شعره الجميل الوافر ، وقد روى ابن إسحق عن البراء بن عازب فقرة فى حجم صفحة كلها عن شعر الرسول الأكرم .

وعندما تطيل القراءة فى سيرة المصطفى تحس بهذه الخصائص الشكلية ، وأنا عندما أكتب عن الرسول فإننى أراه فعلا ببصرى وبصيرتى جميعاً ، أجل ، أراه وأتحدث إليه دون صوت ، وأشكو له همومى ، وأسأله بعد الله العون والمشورة ، ويخيل إلى أننى أرى بعين البصيرة وجهه الكريم يبتسم ، وعندما نزلت بى نازلة قاصمة ، وطال بى السهر وضاقت بى الدنيا جلست منهد الحيل ، وأحسب أننى غفوت ، وأحسست كأن يداً كريمة تربت ظهرى ، وصوتاً رقيقاً عميقاً بالغ الحنان يقول انهض يافلان فلا بأس عليك ، الله سبحانه أعطاك ثم أخذ منك ، وقد أحسن إليك عندما أعطى ، وأحسن إليك عندما أخذ ، فما يحزنك من ربك الودود ذى الرحمة ؟ انهض إلى عملك وضع ثقتك كلها فى الله ، وأنا معينك إن شاء الله . . وصدق أو لا تصدق ، لقد نهضت وكأننى عوفيت من مرض طويل ، وسرت فى طريقى شيئاً فشيئاً خف مابى وزال كربى ، ومن ذلك الحين لا أذكر أنه مر بى يوم لم أقرأ فيه شيئاً من القرآن وشيئاً من السيرة ، وكان أبى يقول إنه رأى الرسول الأكرم فى منامه فقلت له صفه لى ، فقال لا أستطيع لأننى فى الحق لم أره رؤية بصر بل رؤية بصيرة ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك : إننى رأيت نوراً باهراً أحسستُ وأنا نائم أننى أمام رسول الله صلوات الله عليه . . .

وبالإضافة إلى جمال الشكل وجلال الصورة كان عليه الصلاة والسلام فى الغاية من النظافة وحسن المظهر ، يغتسل ويغير ثوبه مرة ومرتين فى اليوم ، وكان

يحب أن يغسل ثوبه بيده ويكنس بيته بيده ، وكان يتطيب ويحب ألا يظهر للناس إلا فى أبهى صورة ، ومن جميل ماأحكيه لك فى هذا المقام أن الرسول ﷺ عندما رتب أمر هجرته إلى المدينة طلب إلى عبد الرحمن بن عوف أن يشترى له ولأبى بكر ثوبين أبيضين وينتظره بهما على بعد من المدينة ، وفى صباح يوم دخوله صلى الفجر وسبح لله ماشاء له التسبيح ثم اغتسل مرة أخرى ولبس ثوبه الأبيض وتعمم بعمامة بيضاء جميلة ، وكذلك فعل أبو بكر وعلى هذه الصورة الجميلة لقى أهل المدينة ، ولم يعرف الناس من رسول الله ومن أبو بكر إلا عندما رأوا أبا بكر يظلله ويمنع عنه الشمس فعرفوا أنه رسول الله ، وكان آخر شىء طلبه قبل أن يدخل فى سياق الموت هو السواك أشار إلى أم المؤمنين عائشة فناولته إياه فغسل أسنانه ثم مضى للقاء ربه .

***

والآيات التى اتخذتها محوراً لهذا الحديث ، تحدد لنا صفاته الأساسية ورسالته وحدودها ، وماينبغى علينا نحوه ، والإسلام يقوم أساساً على وحدانية الله ، والوحدانية الإلهية موصوفة ومحددة بأجلى بيان فى القرآن الكريم . وقد تحدثنا عن الله سبحانه وعن القرآن الكريم ، وهذه المرة نتحدث عن رسول الله الذى اختاره سبحانه ، وأعده للرسالة ، وكمله بالفضائل والملكات والمواهب والقوى التى تمكنه من حمل الرسالة و إبلاغها الناس على خير وجه ، وهنا وعندما نتحدث عن رسول الله ﷺ نجد أن القرآن معجزة الله الكبرى ، ومحمد نفسه معجزته التالية ، فأنت كلما قرأت عنه زدت له حباً به و إعجاباً ، وتبينت شيئاً فشيئاً أنه صلوات الله عليه معجزة حملت معجزة ، وقامت بمعجزة كما سنرى ، والآن نأتى بالآيات على تواليها لنرى مصاديق ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً** ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤٥ ـ ٤٧] .

ولفظ « شاهد » الذى بدأ به الله سبحانه وصف رسوله من الألفاظ القرانية أى تلك الألفاظ التى تأتى فى القرآن بمعان إسلامية متعددة كلها تحمل شيئاً من التقى أو معنى من معـانيه مثلـه فى ذلك مثـل الإيمان واليقين والبينـة والقلب والنفس والروح .

والشاهد فى القاموس الوسيط هـو من يؤدى الشهادة والدليل ، ولكننا نقرأ فى تفسير ابن كثير ، وقوله : شاهداً أى : لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيـامة « وجئنا بك على هؤلاء شهيـداً » كقوله ﴿ **ولتكونوا شُـهداءَ على الناسِ ويكُـون الرسول عليكُم شهِيداً** ﴾ [البقرة ٢ / ١٤٣] (تفسير ابن كثير ٦/ ٤٢١) وأرى أن ابن كثير لم يضع يـده هنـا على المعنى المراد فى تلك الآيات وإلا فكيف سنكـون نحن المسلمين شهداء على النـاس ؟ وأقرب إلى المعقول أن يكـون الشاهـد هنا بمعنى الدليل والمثل . فيكـون الرسـول دليلنا والمثل الذى نقتدى به ، ونكون نحن أدلة للناس ومثلاً ، وبقية الصفات الواردة فى الآيـة واضحة ، ولكننـا نقف لحظـات عنـد قولـه : « سراجـاً منيراً » فإن الله سبحانه يريـد منا أن نتخذ الرسول سراجاً ينير لنـا سبيل الحياة ، وهو إذا كان فى حياته مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه ، فهـو بعد وفاته وإلى آخر الدهر سراجنا المنير الذى نتبع هداه وخطاه ونتخذها مثلاً (شاهداً) فى كل مانعمل .

وهذه هى الصفات التى اختارها الله لرسوله وهى الأشبه به ، فلا يجيئنا بعد ذلك رجل ويصف رسـول الله ﷺ بأنـه رئيس دولة ، لأن هـذه وظيفـة سياسيـة ورئيس الدولة فى الغالب يهوى الرئاسة ويسعى إليها ، وهو قد يخطىء أو يميل مع الهوى ورسـول الله أرفع من هـذا كلـه ، وكـذلك لا يجوز أن نقـول : محمـد السياسى أو الدبلوماسى ، لأن السياسـة فيها خداع وسعى إلى غايات دنيوية ، والدبلوماسية تدخل فيها المداهنة والكذب والخداع ، وكل شىء جائز فى سبيل الغايـة عند أهـل السياسـة والدبلومـاسية ، ولا يصـح أن نقول : محمـد القائد

العسكرى أو عبقرية محمد العسكرية ، لأن وظيفة القائد هى تحطيم الأعداء وتهديم ديارهم والحصول على النصر بأى سبيل ، ورسول الله بعيد عن هذا كله . ومن يقرأ حياته يجد أنه قاد الناس فى الحرب ولكن فى حدود خصائصه كشاهد ونذير وبشير وداع إلى الله بإذنه .

حتى بشرية الرسول ﷺ مشروطة دائماً برسالته ﴿ **قُل إنما أنَا بشرٌ مثلُكُم يُوحَى إلى أنَمَا إلهُكُم إلـهٌ واحدٌ . فمن كَان يـرجُو لِقاء ربـهِ فليعمل عملاً صَالِحاً . ولا يُشرِكْ بعِبادة ربهِ أحداً** ﴾ [الكهف ١٨/ ١١٠] .

فالبشرية هنا مرتبطة فى محمد بالوحى الذى يتلقاه ، والوحى الذى يتلقاه لبابه أن إلهنا واحد ، ويقول بعد ذلك « فليعمل عملاً صالحاً » وأصلح العمل عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به .

وفى سورة الإسراء نقرأ : ﴿ **قُل سُبحان ربى هَلْ كُنتُ إلا بَشراً رسُولاً** ﴾ [الإسراء ١٧/ ٩٣] ولكن اقرأ معى هذه الآيات ﴿ **قُل لا أملِكُ لنفسِى نَفْعاً ولا ضَراً إلا ماشاء اللهُ . ولو كُنت أعلمُ الغَيب لا سْتكْثرت من الخيرِ ومامَسنى السُوء ، إن أنا إلا نـذيرٌ وبشيـرٌ لقـومٍ يُؤمنُون** ﴾ [الأعراف ٧/ ١٨٨] .

فهنا يقرر الرسول أنه لا يعلم الغيب ، لأن معرفة الغيب لله وحده ، والرسول لا يشرك الله فى صفة من صفاته ، وهو يقول ببساطة تروع النفس ﴿ **لو كُنتُ أعلَمُ الغَيْبَ لاسْتكْثرتُ من الخيرِ ومـامَسنِي السُوء** ﴾ وإنه لا يملك لنفسه نَفْعًا ولا ضراً وإنه نذير وبشير لقوم يؤمنون ، فتعجب معى كيف أن تاريخنا وعالمنا الإسلامى حافل بناس وضعوا أنفسهم فوق مرتبة الرسول حاشا لله وزعموا أنهم يعلمون الغيب ، وأنهم يحمون أنفسهم وغيرهم من السوء ، لأن لهم عند الله سبحانه مكانة تجعلهم أصحاب شفاعة ، وتدخل فى المشيئة ، ومنهم من قال إنه يمشى على الماء أو يطير فى الهواء . وهم يستنزلون من الله البركات ،

ويصنعون المعجزات ، وما من قرية فى عالمنا الإسلامى إلا وفيها ضريح لرجل أو أكثر لإنسان من هؤلاء ، وكلهم كان يزعم أنه يأتى من الخوارق والمعجزات مالم يتحدث به الرسول عن نفسه ، ومن المؤمنين غير المتقين طبعاً من يزعمون أن الشيخ الفلانى يرعى الوجه البحرى ، والشيخ العلانى يحمى ببركاته الوجه القبلى ولولاه لسقطت السموات على الأرض ، بل هناك من يزعمون أن لرسول الله ـ وحاشا ـ حديثاً يقول فيه ما معناه : « إن لله عباداً أعز عند الله مكاناً من الرسل والأنبياء بل يحسدهم الأنبياء والشهداء والصديقون لمكانهم من الله » ، ونتيجة لهذا أن عالمنا الإسلامى هذا يحكمه هؤلاء الأموات ، واقرأ ياسيدى طبقات الصوفية للشعرانى لترى أنهم يقولون ـ ضمناً لا صراحة ، أعز مكاناً عند الله سبحانه من رسول الله ، فإن الله لم يكشف لرسوله ومصطفاه الغيب ، ولكن حضراتهم يعلمون الغيب ، واسمع هذه الحكاية التى لا تصدق عن نظرة هؤلاء المسمون بالأولياء إلى أنفسهم ، ورفعهم مكانهم فوق مكان المصطفى صلوات الله عليه ، والحكاية فى كتاب أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد وهو أبو سعيد بن أبى الخير الميهنى ، وهو من صوفية فارس من أهل القرن السادس الهجرى ، وكانت فارس إلى ذلك الحين أهل سنة (ص ١٢٨ ــ ١٢٩) ، وقال أبو عثمان الحيرى : « رأيت فى منامى ذات ليلة أن الشيخ أبا سعيد يتحدث فى زاويتى ، وكان صاحب الشرع المصطفى صلوات الله عليه جالساً على الجانب الآخر من المنبر ، ولم يكن الشيخ يلتفت إليه وجال بخاطرى أنه لأمر عجيب ألا ينظر الشيخ إلى صاحب الشرع ، فالتفت إلى الشيخ فى الحال ، وقال لى ليس هذا وقت النظر إلى الأغيار هذا وقت الكشف والمكاشفة » أعاذك الله وأعاذنا من بلاء هذا وأمثاله .

***

ولقد نسب أهل العصور الماضية إلى الرسول الكريم معجزات كثيرة . ولكن

معجزته الكبرى فى رأيى هى إتمامه عمله الذى غير وجه التاريخ على النحو الذى أتمه فى عشر سنوات هجرية تقريباً ، لقد أوحى عليه الرسالة وقال له :

﴿ فإن تَولوْا فإنّما عليك البلاغ المبينُ ﴾ [النحل ١٦/ ٨٢] .

﴿ فإنك لا تُسمعُ الموتَى ولا تُسمع الصُم الدُعاء إذا ولوا مُدبرين وَما أنت بهادِ العُمى عن ضلالتِهم . إن تُسمع إلا من يُؤمن بِآياتِنا فهُم مُسلمُون ﴾ [الروم ٣٠/ ٥٢ ـ ٥٣] .

﴿ من يُطع الرسُول فقد أطاع الله ومن تولّى فمَا أرسلناك عَليهِمْ حَفيظاً ﴾ [النساء ٤/ ٨٠] .

﴿ قد جاءكم بَصَائِرُ من ربكُمْ ، فمَنْ أبصَر فلِنفسِه ومن عَمى فَعليْها وما أنَا عَليْكُمْ بحفيظٍ ﴾ [الأنعام ٦/ ١٠٤] .

﴿ فذكر إنما أنت مُذكرٌ . لسْت عَليهِمْ بمصَيطِر ﴾

[الغاشية ٨٨/ ٢١ ـ ٢٢] .

﴿ فلعَلكَ باخِعٌ نفسَك على آثارِهِم إن لمْ يؤمِنُوا بهذا الحديثِ أسَفاً ﴾ [الكهف ١٨/ ٦] .

وآيات أخرى كثيرات حددت رسالة الرسول بالبلاغ . إن عليه البلاغ وعلى الله الحساب .

وهذه هى حدود رسالة محمد صلوات الله عليه .

وكل الأنبياء قبل رسول الله وقفوا عند حد التبليغ إلا محمدا .

فقد أبت نفسه العظيمة إلا أن يبذل أقصى جهد فى إقناع الناس بالحق . وإذا قرأت أخبار جهاده مع أهل الشرك فى مكة زدت بهذا الرسول إعجاباً له ومحبة ، فهذا رجل لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً ، إنه لا يدع أحداً إلا ذهب

إليه ودعاه . ودخل مرة على عبد الله بن أبى بن سلول ، وطفق يقرأ له القران فيقول هذا الحلف القاسى : يامحمد ابق مكانك فى دارك ، ومن أحب أن يسمع منك فليذهب إليك ، ولكن لا تدخل على الناس وترغمهم على سماعك ، وكان رسول الله يستطيع أن يخسف به الأرض ، ولكنه صمت ثم نهض وسار .

وكان المكيون يؤذونه ، وهو يستغفر لهم ويستمر فى الدعوة حتى يحار أعداؤه فى أمره وهو واحد ، وهم كثيرون وعساك لا تحسب أن المكيين المكابرين كانوا كلهم أغبياء ولا رجالاً صغاراً ، فقد كان فيهم فى الحق رجال ذوو عقول وأفهام وأحلام : وكانوا يجادلون الرسول جدلاً يدل على ذكاء ، فما زال بهم حتى ألجأهم إلى الحائط وملأ قلوبهم رعباً منه مما يقول ، وأبو جهل الذى يزعم الناس عندنا أنه كان أحمق معتوهاً ما كان فى الحقيقة إلا سيداً جاهلياً واسع العقل ، وكل عيبه أنه كان يخشى على مركزه وماله من الإسلام ، ورسولنا ﷺ أرهقه بإصراره على دعوته ، والرسول كان يسأل الله أن يعز الإسلام بأحد العمرين ، وعمر الأول هو ابن الخطاب الذى أكرمه الله بدخول الإسلام ، والثانى هو أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة المشهور بأبى جهل ، وهذا الرجل الذى طبع الله على قلبه انتهى به الأمر إلى الخوف من رسول الله مخافة أن يدعوه ، وفى النهاية وقرب الهجرة إلى المدينة يراه الرسول فيسرع إليه ويقول : أما آن لك ياأبا الحكم أن تفتح للإيمان قلبك ، ويكون رد الرجل المفزوع : أما تريد أن نقول إنك بلغت فقد بلغت وولى هارباً وهل قرأت قول الله فى سورة المدثر :

﴿ فَمَا لَهُم عن التَذكرة مُعرضِين كأنهُم حُمُرٌ مستنفِرةٌ . فَرتْ مِن قَسورة ﴾ [المدثر ٧٤/ ٤٩ ـ ٥١] .

وهل سألت نفسك من هم الحمر المستنفرة النافرة التى ولت هاربة ؟

هم عتاة مكة الأغنياء المستكبرين ، ومن هو القسورة ؟ من هو الأسد الذى فروا أمامه ؟ إنه ياسيدى محمد رسول الله ﷺ . إنه محمد الذى زلزل قلوب

الأغنياء بإيمانه وبسالته وإصراره وذكائه وبلاغته .

إنه يضرب لنا بهذا مثلا فى الشعور بالواجب والقيام به .

فأين نحن من هذا المثل العظيم ؟ ولكننا نزعم أننا على سنة محمد وأين نحن من سنة محمد ؟

ثم تكون الهجرة إلى المدينة ويبدأ العمل الشاق فى بناء الأمة وهدايتها وضرب المثل الأعلى لها ، وهنا يبذل محمد من الجهد مالا يصدقه عقل ، فخلال عشر سنوات غزا محمد أو أرسل أربعاً وثمانين غزوة وسرية وبعثاً ، أى بمعدل أكثر من ثمان من المغازى فى السنة الواحدة ، ولا تتصور أن أصدر مرة أمراً إلى أحد بالاشتراك فى المغازى ، لقد كان يضرب للناس المثل بنفسه فيستعد للغازية ، ثم يخرج بنفسه وينتظر خارج المدينة يوماً ليتلاحق به الناس ، وفى سراياه لم يكره أحداً على الخروج . . بل كان يختار قائد السرية ويعطيه تعليماته ويكله بعد ذلك إلى نفسه ، فإذا خرجت السرية ظل رسول الله قلقاً عليها مترقباً أخبارها ، وأحياناً كان الاهتمام بالمجاهدين يدفعه إلى أن يخرج إلى خارج المدينة يستطلع أخبار جند الإسلام ، وفى أثناء ذلك كان يتعهد أهل الخارجين فى السرية بالعناية والرعاية ويوحى إلى أهل المقدرة من أصحابه بأن يرسلوا لأهل الرجل وأولاده الطعام ، فإذا عادت السرية وعرف الرسول من استشهد ومن جرح ، ذهب للتعزية والمواساة بنفسه . وأحياناً تخرج سريتان فى وقت واحد فيكون تفكيره فى الاثنتين ، وعندما أصيب أهل سرية بئر معونة وجد الرسول عليهم وجداً شديداً حتى كان يبكيهم فى صمت ، ولم يزل حتى عاقب من قتلوهم .

وفى أثناء ذلك كان يتلقى الوحى ويبلغه للناس ، ويملى الآيات على كتابه ويشرح للناس معانيها ، فإذا كانت فى الوحى عبادات قام معلماً وشارحاً ومبيناً للناس حدود الله . وكان يقضى الوقت كله فى حركة دائمة ، فما كان محمد ينفق دقيقة من وقته دون عمل ، فهو دائماً فى شغل بشأن من شئون الإسلام وأمته ،

ومامرض مؤمن إلا عاده ، ومامات منهم واحد إلا مشى فى جنازته وحضر دفنه.

وفى أثناء ذلك كله كان ذهنه فى كل ركن من أركان الجزيرة وفى كل ناحية من نواحى الدنيا ، لأنه كان يحس أن واجبه هو إدخال أهل الأرض جميعاً فى دين الله وهذا كله فرض عليه أسلوباً من الحياة لا يقتدر عليه إنسان إلا بعون عظيم من الله . فقد كان منظماً إلى أقصى مايمكن أن يكون عليه البشر من تنظيم الوقت والمحافظة على الدقائق ، والذين يصورون لك رسول الله جالساً ساعات ومن حوله أصحابه لا يعرفونه . والذين ينسبون إليه الكلام الكثير يعرفونه أقل ، فقد كان رسول الله يحسن الكلام ويحسن الصمت ، ويصمت طويلاً جداً ليصغى ويسمع ويعرف ، وكان إذا تكلم قصد إلى الغاية بأقل لفظ . أما بلاغته فى الكلام فأنت تعرف عنها أكثر منى ، والذى أحب أن أضيفه هنا هو بلاغته فى الصمت وهى بلاغة لم يعرفها المسلمون .

وهذا الرجل الذى لم ينم منذ وصل المدينة أكثر من ثلاث ساعات أو أربع فى اليوم كان أملك الناس لنفسه . فى حياته ماشكا ولا ركن إلى راحة أو تشهى طعاماً بل كان يأكل ماحضر دون تكلف ، والذين يقولون إنه خرج من الدنيا دون أن يشبع من خبز الشعير زهداً فيه يتحدثون عن رسول آخر لا عن رسول الله . ولقد حكى خادمه أنس بن مالك أنه لم يرفع صوته على أحد طوال حياته

ولا نطق بكلمة تجرح شعور أحد ممن حوله ، وكان الناس يثقلون عليه وينادونه من خارج حجراته ، وهو مستريح فى غرفته فلا يغضب ويخرج إليهم فيطعموا ثم يظلوا فى البيت ، وكان لفرط حيائه لا يأذن لنفسه فى أن يلفت نظر أولئك الناس إلى سوء فعلهم حتى حباه الله بفضله من ذلك كله بآيات كريمة فيها تهذيب أولئك القوم وتهذيب للأمة كلها ، والذين يزعمون أنهم يتبعون سنة المصطفى ينسون أن رسول الله ﷺ لم يطلق امرأة فى حياته حتى عندما كان نساؤه يغضبنه لم يفكر فى الطلاق وعمر طلب إليه أن يطلقهن جميعاً ، ولكن رسول الله

صبر وكظم غيظه حتى أتاه الله بالحل الأمثل .

وهذا كله كلام أسوقه لأولئك الذين يزعمون أنهم أهل السنة السمحاء وأنهم على نهجها ليعلم الكثيرون منهم أين هم من السنة التى يتحدثون عنها وربما عاشوا منها .

وإليك حكاية عن رسول الله أحكيها لك عن الواقدى لتعرف أى رجل كان وكيف كان منهجه فى إقناع الناس بفضائل الإسلام ؟ لا بالكلام ولكن بالقدوة الصالحة يضربها فتكون أبلغ من كل مقال .

كلنا نعرف صفوان بن أمية وماكان من سوء موقفه من الإسلام وخاصة يوم الحديبية ، حتى ليعد من أئمة الكفر والعناد ، فلما فتحت مكة أيقن الرجل بالهلاك على يد الرسول فهرب إلى الشعيبة ليفر إلى الحبشة ، وذهب صاحبه وهب ابن عمير ، وكان أيضاً من عتاة أهل الكفر ، ولكن رسول الله عفا عنه فأسلم ، وأكد وهب بن عمير لصفوان أن رسول الله سيعفو عنه إذا جاءه ، وقال مخاطباً صفوان جعلت فداك ! جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس ! وأكد له أن رسول الله وعده بأن يؤمنه ، وأتى معه صفوان و إنه لخائف يرعد ، فلما وصل مكة كان رسول الله يصلى بالمسلمين العصر . فجلس ينتظر ، **فلما لقى** رسول الله قال : يامحمد ! إن وهب بن عمير جاءنى ببردك ، وزعم **أنك** دعوتنى إلى القدوم عليك : فإن رضيت أمراً و إلا سيرتنى (أمهلتنى) شهرين . **فقال** : انزل أبا وهب (كنية صفوان) قال : لا والله حتى تبين لى ، قال : بل تسير أربعة أشهر (كان قد طلب مهلة شهرين فأعطاه الرسول أربعة) فنزل صفوان ، وخرج رسول الله ﷺ إلى معركة هوازن ، وخرج معه صفوان وهو كافر ، **وأرسل** إليه الرسول يستعير سلاحاً (وكان من حق رسول الله أن يأخذ منه كل سلاحه) فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها فقال (صفوان) طوعاً أم كرهاً ؟ قال رسول الله ﷺ عارية مؤداه . فأعاره ، فأمره رسول الله أن يحملها إلى حنين .

فشهد حنيناً والطائف ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة بعد نصر حنين فبينما رسول الله ﷺ يسير فى الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية ، جعل صفوان ينظر إلى شعب (حظيرة صغيرة) ملىء نعما وشاء رعاء ، فأدام إليه النظر ورسول الله ﷺ يرمقه ، فقال : أبا وهب ! يعجبك هذا الشعب ؟ فقال نعم ! قال : هو لك بكل مافيه . فقال صفوان عند ذلك : ماطابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبى . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ! وأسلم مكانه (مغازى ٢/ ٨٥٤ ـ ٨٥٥) .

أعرفت الآن من هو محمد ؟ إننى لو أمضيت أحكى أياماً ماأنتهيت ولا أنت شبعت ، فإن حديث محمد ﷺ أجمل حديث وأحفل حديث بالموعظة والحكمة والخير. وخير ما أختم به هذا الحديث عن رسول الله الرحمة المهداة تلك الآيات التى خاطب الله بها رسوله الكريم : **﴿ فبما رَحْمةٍ من الله لنْت لهُم ولَو كُنت فظاً غليظ القلب لانفضوا مِن حولِك فاعفُ عنهُم واستغفرْ لهُمْ . وشاورهم فِي الأمرِ فإذا عزمت فتوَكل على الله إن اللهَ يُحبُ المُتوكلين ﴾**

[آل عمران ٢/ ١٥٩] .

الآن وأنا أختم هذا الحديث أحس اليد الكريمة تربت ظهرى ، ويخيل إلىّ أننى أسمع الصوت الرقيق العميق بالغ الحنان يقول : انهض يافلان لا بأس عليك وربك الكريم أعطاك ، وربك الكريم أخذ منك ، وقد أحسن إليك عندما أعطى ، وأحسن إليك عندما أخذ فما يحزنك من ربك الودود ذى الرحمة ؟ انهض وضع ثقتك كلها فى الله ، وأنا معينك إن شاء الله !

***